ولا ننسى أن نشير ـ قبل اتمام الكلام عن البنيوية التكوينية عند «غولدمان» إلى أن هذا الناقد يميز بين مستويين من الوعي الاجتماعي: الوعي الواقع، والوعي الممكن:

فالوعي الواقع، هو مجموع التصورات التي تملكها جماعة ما عن حياتها ونشاطها الاجتماعي، سواء في علاقتها مع الطبيعة أم في علاقتها مع الجماعات الأخرى، وهذه التصورات تبدو ثابتة وراسخة بحيث لا يمكن تصور وجود الجماعة المذكورة بدونها[121].

أمّا الوعي الممكن، فهو الذي يُجَسِّدُ الطموحات القصوى التي تهدف إليها الجماعة. وهناك علاقة وثيقة بين الوعي الواقع، والوعي الممكن، غير أنّ الوعي الممكن هو المحرك الفعال لفكر الجماعة، بل هو الذي يرسم مستقبلها، ويعطيها صورتها الحيوية في الحاضر، والمستقبل. وعادة ما يكون الوعي الممكن في غير مُتناول الناس العاديين الذين يندمجون في الجماعة، ولكنه فقط في مُتناول الأشخاص ذوي الثقافة العالية، كالفلاسفة، والأدباء، والسياسيين[122].

إن الفكرة التي نريد الوصول إليها من خلال بسط آراء «غولدمان» حول هذا الموضوع، هي أنه **يربط الأدب، والفن الروائي بشكل خاص بالوعي الممكن للجماعة المعبرة عن نفسها بواسطة المبدع**. وهذا يعني أن كل تحليل نقدي يربط بين مضمون الرواية ـ وخاصة إذا كانت رواية كبيرة ومهمة ـ وبين الوعي الواقع لجماعة ما، إنما هو تحليل نقدي يقود نفسه حتماً في طريق الخطأ لأن الأدب يرتبط عادة بحاجيات الجماعة أي بالقيم المُفْتَقَدة في الواقع، ولهذا فمضمون أية رواية لا بد أن يعكس مكونات الوعي الممكن لجماعة بشرية محددة. يقول «غولدمان» بهذا الصدد:

«ليس النتاج الأدبي مجرد انعكاس بَسيطٍ للوعي الجماعي الواقع، ولكنه تعبير عن الوصول إلى مستوى متقدم من الانسجام للميولات الخاصة لوعي جماعة أو أخرى، هذا الوعي الذي ينبغي النظر إليه كحقيقة ديناميكية موجهة نحو تحقيق حالة من التوازن لتلك الجماعة... وإن ما يُمَيِّزُ في العمق السوسيولوجيا الماركسية عن مجموع الاتجاهات السوسيولوجية الأخرى (وَضْعِيَّة كانت أم نِسْبِيَّة أم آنتقائية)، في هذا الميدان، كما في جميع الميادين الأخرى، **هو كونها ترى المفهوم المفتاح، لا في الوعي الجماعي الواقع، لكن في الوعي الممكن الذي يسمح وحده بفهم الوعي الأول**[123].

على أننا نعرف بأن «غولدمان» قد نفى وجود وساطة الوعي الممكن بين المجتمع والفن بالنسبة للمجتمع الغربي المعاصر، إذ كان يعتقد أن تَشَيُّؤ العلاقات الاجتماعية

---

(121) Ibid., P. 125.

(122) Ibid., P. 12.

(123) Lucien Goldmann: **Pour une sociologie du roman.** P. 41.